

غنّ معي عن السلام.. عن الحب.. حتى لا أفقد الأمل أبداً

بديع ججاج: أقول لمن يعتبرني اختبئ وراء القرآن والإنجيل.. أنا شفاف وظاهر

سارة سلامة



بديع ججاج الذي لم يتوقف عن الدوران يعتبر اليوم حالة مؤسنة دفعها وعيها والمخزون الذي شكلته للترفع ونبذ المعتاد، كما أن التماهي بين حرفي الألف والنون أعطاه بداية لحلم ومشروع مسكون بالأفكار من شأنه مد جسور التواصل مع الآخرين.

لا يخفي تأثره بشخصية الدرويش الذي يغرق في حالة من الدوران عشقاً ولهاً ونوباناً بحب ربه غير أنه لكل ما يدور حوله، بينما دوران ججاج يمثل العشق والنوبان والسمو في حالة الفن والجمال والإبداع.

حاله الوطني دفعه لإقامة تظاهرة حقيقية استقدم فيها الفن الحلبي هذه الضجة التي أحدثها وهذا الجدل ربما ساهم في طي سنوات من الحرب لأنه على ثقة بأن المجموع الواعي يخلق جملة سورية حقيقية، ليشعل من بعدها فئيل الفن التشكيلي بعد ركود أضناه لسنوات.

أما اليوم أحد أهم مشاريعه هو العمل على دمج الفن التشكيلي بالمدارس السورية وذلك يقيناً منه بقدرة الجيل الجديد على الخلق والإبداع.

• لماذا معرض حلب وكيف تمت الخطوات وما النتائج؟ كل حال وطني وكل حال أخلاقي وكل حال مبديي مؤسس لا يمكن أن يكون فردياً على الإطلاق، لا يمكن أن يكون إلا مشعراً وهذا الإشعاع لا يأتي من طاقة فردية، لذلك موضوع حلب يعمل جزءاً من منظومة ألف نون كأجندية وعي وفكر جديد لبناء مفردات تشكيلية جديدة.

كان افتتاح ألف نون عبر جدليات مختلفة، وكان لحلب رؤية خاصة بالنسبة لي، فغياي فكرة الفن التشكيلي وغياب فكرة الجمال عن أقدم مدينة في تاريخنا المعاصر، تطلب مني إعادة إشغال هذا الفئيل الفني والجمالي من خلال مجموعة من الفنانين المهين والمعروفين الذين تتراوح أعمارهم بين ٦٥ و٦٥ وطلاب تخرج ٢٣ سنة، هذا التمازج من خلال ١٥ فناناً يعتبر بالنسبة لألف نون حالاً تحريضياً من أجل أن نقول لإخوتنا إننا نفكر بكم ونحن اليوم جسر واحد فقلب هي كل سورية.

واستحضار الحالة الشعرية لسيف الدولة والمنتخب «حلب قصداً وأنت السبيل»، لأنها في الحقيقة واجهة الشمال وهي واجهة حقيقية، لذلك كانت الغاية هي توثيق كل الأبوأق الإعلامية بمعرض حلب وكلامهم عن الحرب والتدمير والإرهاب وجعلهم يتوجهون ويتكلمون عن الفن والجمال والرقي والأنسنة.

وله مجموعة غايات أولها أنني أفكر بك وأنتي أحبك بكل بساطة، فانا لذي فراغ لا يمتلئ إلا بك ولا يتطور إلا معك، وهي عبارة عن مجموعة مفاهيم أرغب في تعميمها ولا تنتهي عند حلب فقط.

منظومة جدل عبر ألف نون في وقت ما توجهت بحلب حيث كان المعرض بمنزلة صلاة حشدنا فيها مجموعة طاقات، واعتقد أنها ساهمت مع جيشنا بتحقيق الانتصار الذي نشهده بعد شهر ونصف الشهر من هذا المعرض، وهذا ما دفع الكثير من الفنانين المشاركين إلى الاستغراب لأنهم كانوا يمكن أشبه بحلم والتيهيؤ المؤجل.

وبدوري أخبرتهم جميعاً أن يحضوا طاقة إيجابية وعدم بث الطاقة السلبية، رغم كل العنف والتعب نحن اليوم بحاجة أن نعيد الإنسان عبر تزييق الفن والجمال، نضوجه جملة مفيدة في جيبين سورية.

كما كانت جواباً على كل مؤسسات الدولة الحكومية خصوصاً المنظومات التي تعمل في القطاع التنشيطي والتي كانت تائهة في سياج عميق من صالات خاصة واتحاد التشكيليين، وهذا ما حدث فعلاً فبعد المعرض أقام اتحاد الفنانين التشكيليين بحلب معرضاً ضخماً.

• الفنانون الـ١٥ من حلب هل كنت تعرفهم سابقاً، وما النتائج التي توصلت إليها؟ أعرف ثلاثة منهم فقط وبالتالي لا يملطون تجميعاً لأصدقائي، وبالنسبة للنتائج أستطيع أن أصفها بجملة «في مناخ البهجة يصعب النمو ممتاز».

فعدنا تستحضر المفردات الإنسانية وتحترمها على أعلى مستوى ضمن مفاهيم القيم والأخلاقيات بكل تفاصيلها، تشجع الناس على تقديم أجمل ما عندها وهذا ما تقيسه أيضاً على النظام الاجتماعي، فيجب أن نوفر لفناننا وأديبنا وشاعرنا كل هذه المناحات وأهمها الاحترام والتبجيل والمسؤولية تجاه العمل والمنجز الفني وأن يكون ذا قيمة ويضخ رسائل على المستوى الإنساني، وأهم جملة أتمنى التركيز عليها هي كيف يكون الجسد التشكيلي السوري أثناء الأزمة متماسكاً وأكثر إنسانية.

• هل تصعد أن العمل روحاني فقط وليس له غايات مادية؟ أو هل تستطيع القول إن الغاليري «الصالة».

جمعية خيرية؟

جزء من الغاليري له علاقة بالقطاع المالي والاقتصادي، وعندما استحضرت الفنانين من حلب دفعت لكل فنان قيمة مالية تقدر بـ ٥٠٠ دولار أي ٢٥٠ ألف ليرة سورية، كما عملت على تأمين سوق للبيع والطرح.

أما طريقة بيع اللوحات ومتى سأبيعها فهذا سؤال آخر، لكن مايهمني أن أكون داخل الكيمياء، فالحال الإنساني الذي جمعني بهم هو الحال السوري والوطني الذي يوثق علاقتي بهم الحال الجمالي والتشكيلي، ثم الحال الاقتصادي في الدرجة الرابعة والأخيرة.

• لو أن اللوحات لم تكن جيدة وبياعة فهل تغامر هذه المغامرة؟

أنا لم أقصراً أبداً شكل اللوحة وكيف يجب أن تكون وبالنتيجة كانت هذه المعادلة من آخر أولوياتي كبديع ججاج، وعملياً نصف اللوحات لم تبع بعد.

«ألوان وأفكار»... ثورة الفن والجمال... من أجل السلام لسورية

• هذا التعاون مع الفنانين الـ١٥ هل نقول إن هناك أواصر للتعاون الاستقبلي؟ وهل كانت التجربة مريحة لهم وك؟

أتمك عن نفسي على الأقل حيث كنت في غاية السعادة بهم جميعاً والعلاقة كانت ممتعة لأبعد مستوى، ولا أدري في المستقبل كيف سنتعاون من جديد ولكن ما يهمني أنني قدمت جرعة إنسانية مهمة وجرعة مالية مهمة. تتوجت بتكريم محافظ حلب للفنانين وذلك بطلب من السيد الرئيس وكانت هذه لفتة عظيمة من سيادته أن أعطى ٥٠٠ ألف لكل فنان من الفنانين الذين شاركوا بألف نون.

• هذا يقودنا إلى سؤال مهم.. سورية ضمن الأزمة والحالة الاقتصادية وغيرها هل أعطاك ذلك مؤشراً على أن السوري لا يزال يهتم بالجمال ويقتني؟ لا يوجد شك بذلك وفي الحقيقة التظاهرات التي قمنا بها على أكثر من صعيد، مثلاً شراكتنا مع شركة المستقبل كانت حتى ترح الفن التشكيلي بالشارع ليراه كل الناس، وشراكتنا أيضاً مع القطاع الاعلامي والصحفي والمؤسسات الإعلامية السورية التي نجدها متأنة وموجودة دائماً، خصوصاً عندما ترى حالاً حقيقياً وصادقاً وداعماً.

الناس الذين يفتنون فنناً على مستوى القيم المالية التي نطرحها بألف نون ليست قيماً مالية ضخمة وكبيرة، فهناك بعض المؤسسات ضخمت برأس الفنان وأعلته أسعاراً هائلة الأمر الذي خلق فجوة بين الشخص القادر على الاقتناء والأشخاص الذين يبدون الفن وغير القادرين على أن يفتنوا.

والآن نستطيع اقتناء لوحة بسعر ٢٥ ألفاً إلى المليون حسب قياسها وتاريخ الفنان ومنجزه الثقافي والفكري إضافة إلى اعتمادنا ليس فقط على المقتني السوري في داخل سورية إلا أن اعتمادنا ينصب كثيراً في جزء منه على السوريين في الخارج الذين يتابعون ألف نون ويقومون بدعم الفنانين.

• ألف نون ومشروع بديع ججاج الذي بدأه في قصر الشهبندر قبل سنوات تحت اسم «دوران»، وبدأ من يومها بديع بالدوران وإلى اليوم هاجسه الدوران كيف ذلك؟

الدوران هو الحال الكوني والفيزياء الكونية التي تنتج طاقة كامنة وتنتج طاقة خارجية، ونحن نتأثر ونؤثر في هذا الكيان وابعائادي أن البطل فيه هو الميولي أو الدرويش الذي أخذته كعلامة بصرية وتاريخية بكل ما يحمله من مضامين لها علاقة بالتصوف والأفكار المختلفة أخذته كحال بخديمي لكونه إنساناً عاقل المقصد في دوره، هو السعي للدوبان في روح مولاه وخالفه، وهو مدرك أن الدوران لا يكون حقيقياً إذا لم يكن فيه منفعة لأخيه الإنسان على الأرض.

الدوران شكلان، دوران عمودي يتمثل في علاقة المخلوق بربه وتتجلى في الألف، ودوران أفقي يتمثل بعلاقتي مع الناس حولي أي هي القيم الأخلاقية والسلوك، أما ألف نون فهو جسر بين حرفين ولكنه كيان هو جملة متمثلة من الفنون، بمعنى أنه لا يمكن أن نحارب ثقافات فيها تعصب وتكفير واضمحلال ومحدودية وعدم حركة إلا يسعي مستمر أساس كينونته هو الدوران الإيجابي، وأدواتك له هو الانفتاح الثقافي والانفتاح الفكري، الحال الجمالي، الحال الفلسفي، الذي لا يغلق البوابات على الإنسان وإنما يفتحها ضمن

ويعي حرف نون القوس الذي يخدوي على نقطة وهي بذرة بالنسبة لنا مقدسة، وليكون هناك صوت لا يوجد فصل بين القوس والنقطة فكل حالة بفردها هي حال صامت ولكن مع بعضها ينتج صوت اسمه نون وهذا الوعي الذي نحن نطلبه.

• هل تؤمن أن الفنان التشكيلي مثله مثل الشاعر والمثقف من دوره يصنع في مكانه ويترك للزمن؟

لا يوجد شك وإنما النوعية العالق الموجود في اللوحة أو في الفكرة وكه هي حالة قيمة للمجتمع والإنسان في هذا الظرف، نحن في ألف نون نشكل وعياً جماعياً فالوردة لا تصنع حديقة، مجموع الأزهار هو الذي ينتج حديقة.

• لكن الإبداع قدرة تراكمية لا تأتي نتاجها مباشرة، قد تستغرق وقتاً طويلاً؛ هل يحتمل الوعي هذا الانتظار؟

عملياً من حالة الإبداع يخلق لدينا منتج وهذا المنتج بقدر ما يحمل من طاقة المبدع وصق المبدع، هو قادر على بث رسالة تنتقل للناس بسهولة وببساطة، ولا ننسى الحاجة إلى حال تسويقي وكذلك الحاجة إلى من يلم بعملية الترويج، وهناك شكلان لعملية الترويج والتسويق، إما أن تروح العادي والضعيف والسيئ والقدرة على تحويله لحقائق وهذا صعب بالحال الفكري، وإما تتبني تراكماً إبداعياً عند مجموعات من الناس تدخلها على فلتز ألف نون حتى يرى تجربته ويعيشها بهذه اللحظة لأن تجربته الثانية لا تشبه هذه التجربة حتماً، سيكون هناك مسؤولية تجاه منجزه القادم هذا جزء من مفاهيم ألف نون، فعندما يدخل إلى هذا الفلتز ويخرج هنا أنا قمت بتخزينه على «الويب سايت وعلى اليوتيوب»، وأقمت له مناسبة ضخمة وساهمت في بيع لوحاته وشاركته بجزء منها أما الآن فما دورها وماذا سيفعل فيما بعد.

• هل تراهن فقط على مشروع ألف نون؟ هذا المشروع هو بذرة نبتت وتكبر بكل البذور التي تنضم إليها، فكلما كبر ونبت، وكلما شاهدني المتلقي بكل ما أفعل من منجزات على مستوى المجتمع المدني والصحفي والإعلامي، يتبين له مدى مصداقيني فهذا يساهم في تحول البوصلة إلي.

• ما النتائج التي لستها بعد مرور سنوات على فكرة الدوران؟

بديع ججاج أصبح اليوم جملة مؤسنة تشكل حالات إبداعية مختلفة مثلاً ما قبل الأزمة عمل بالحملات الإعلامية والبصرية والشعار التجاري والإعلانات وإلى آخره، أما الأزمة اليوم فحولت منظومة هذا الوعي المنظومة أخرى بدأت من خلال دوران واحد في قصر الشهبندر التي تعرفنا فيها على الميولي والدرويش.

• أستطعت أن أحول من دوران إلى منظومة فترية اسمها «أفلا»، وهي سؤال استراتيجي اليوم نحن بحاجة كثيراً لاستخدام أقيم الكيمياء الجسدية هو العقل وأن ندعم المحيط وهو المدرك الذي يخزنه العقل بشرطه أن يكون على مستوى عال من الجودة وضمنها ربايعية.

حتى نصر من منظومة «أفلا» رموزاً مشرقية لها علاقة بالترجيدي أسوة بنقطة وحرف نون الذي خلقنا فيه رمز الكونين وهو يمثل نموذجاً إنسانياً مختلفاً يعتمر ولادة الكلمة العليا وهي التسامح والرحمة والطف والمحبة والود بين الناس.

وذلك ليتذكر الإنسان بأنه إلى فناء فهو يبدأ ببناء بداية ثم ينتهي عبر نون نهاية، والجدل بين باء ونون هو التواتر في نض القلب وهو المنجز الذي لا يكون ذا قيمة إذا لم يكن فيه نفع عال للناس، أفلا يشكرون وهنا تشكر الرب لعمير الحياة بجسد إنساني اليوم وليس بجسد آخر.

فالإيمان هو أعلى قيمة من التصورات الفكرية التي وصلك لحالة طمأنينة والدوبان في روح الخالق أولاً ومحبة العباد ثانياً.

• أنت تتحدث عن المطلق ومنطلق آيات قرآنية أو إنجيل ألم تر تناقضاً بين المطلق العام والمنطلق الذي هو النص الديني؟

في البدء كانت الكلمة والكلمة هي الله، والله في معتقدات كثيرة ومنها الإسلام هو حال غيبي، نحن نتكلم عن وهو ضمير غائب وعندما نقول: ضمير وغيب فنحن نتكلم عن رقيب ضمنى أحد أهم أدواته هي المعرفة والنص الديني يعتبر حالة شكلت وعياً.

• ألم يخش بديع ججاج على مشروعه عندما يعانق عين القارئ آيات قرآنية مكتوبة حتى يرسم قرآني فيصدر حكماً قبل التفسير؟

ربما، وهنا أرجع لفكرة التراكمية وأرجع لفكرة التفسير المختلف هذه القولية التي قوليتها لأن الهزمة في المشرق كانت على المركبة الإسلامية، واليوم لا أرى الإسلام بنفس جمالية وتحدثت بألف نون وهي جملة متكاملة بذاتها

• أنت تتحدث عن المطلق ومنطلق آيات قرآنية أو إنجيل ألم تر تناقضاً بين المطلق العام والمنطلق الذي هو النص الديني؟

في البدء كانت الكلمة والكلمة هي الله، والله في معتقدات كثيرة ومنها الإسلام هو حال غيبي، نحن نتكلم عن وهو ضمير غائب وعندما نقول: ضمير وغيب فنحن نتكلم عن رقيب ضمنى أحد أهم أدواته هي المعرفة والنص الديني يعتبر حالة شكلت وعياً.

• اليوم قدمت عمل الأجدنة والتي من الملاحظ في كل صفحة منها لوحة لماذا صممت على كلمة لوحة وجملة، هل هو إيمان منك بأن القارئ أو المتلقي لا يمكن أن يفهم اللوحة من دون جملة أو الجملة دون لوحة؟

حتماً يفهم ذلك، الجملة ليست تفسيراً للوحة حقيقة وإنما اللوحة هي حال منفصل بذاتها، كما أن اللوحة يتراكم فيها وعي كل كلمة فيها لينتج وعياً متكامل، كما أننا لا نهدف إلى تكريس القبح نحن نتبع الجمال لأننا نؤمن أن الجمال هو الحقيقة، مثل قولنا: إن الشمس والنور هما الحقيقة الأبدية وليست الظلمة، لأن الظلمة في الحالة الفيزيائية حالة غياب الضوء عنها أما الحقيقة الكلية فهي للنور والضوء حاله الفيزيائي في الشمس والنور حاله في وعي المفردات ووعي الحياة.

• بمعرض حلب قدمت قبحاً من خلال الدمار، وهذا القبح فيه نقطة جمالية تدفعني بالانتباه لهذه النتيجة أين المشكلة في قضية الجمال في القبح؟

نعم من خلال لوحة للفنان محمود الساجر ولوحة الفنان

بشير بدوي الحصان المطعون الذي يمثل مدينة حلب، ربما هذا القبح القليل وجد لكي نثبت من خلاله الجمال الكلي.

ونحن بجل مشاريعنا نحاول أن نبتعد عن توثيق المؤذي للنفس وتوثيق القبيح وغير الجميل، منظر الدم يؤثر جداً ويعطي إحساساً بالخجل من الأشياء التي تحدث، فمثلاً في إحدى لوحاتي التي كان اسمها طيور النصر عملت فيها على تصوير الدمار بشكل كامل ومن داخل الضوء الموجود بها تخرج حمامت سلام تكثر وتكثر حتى تغطي هذا السواد وتعيد بناءه.

• ما جديد بديع ججاج؟

نحن متابعون في مشروع ألف نون، وهناك مجموعة معارض قادمة تعمل عليها وهناك جدلية جديدة وروژنامة هي عبارة عن دمج الفن التشكيلي مع المجتمع الأهلي والمدني ودعمه مالياً من خلال إعطائه الروژنامة مجاناً، أما اسم الفعالية وعنوانها هو «لوحة وجملة»، وقريباً أحضر لمشروع كبير مع وزارة التربية يحملنا للدخول فيه إلى كل مدارس سورية ضمن الوعي الذي نعمل عليه، لأنني أؤمن أن الطفولة والجيل الجديد يتوجب أن تعمل معها منذ القاعدة.

• كل واحد منا هو مجموعة محطات، هل يتحراً ججاج من محطة لم يكن يرى فيها اللوحة منطلقاً فكرياً، قبل مشروع الدوران؟

بالعكس تماماً فاشعار التجاري يحمل أفكاراً هائلة ويشكل حالة تزواج بين فكري أنا كمصمم جمالي ويخلق الرمز يبني وبين الزبون الواعي المحتاج إلى رمز، إذا هي حالة تزواج فكري تصل في نتيجتها للوحة، وهذه اللوحة تحمل قيماً مختلفة وتحمل مفردات فيها تزواج بيني وبين الآخر، أما اللوحة فهي حالة فردية فيها من الجنون الجميل المسكوب بحرية ليس للأخر علاقة به وإنما أنت اليوم حر فيما تنتجه لكن يجب أن تتجاوز حدودك في الأنا الدنيا الأنا السلبية إلى المفهوم العام.

لذلك المبدع والفنان الذي يؤله ذاته، الفنان الإله والشاعر، الإله هو يعزل نفسه عن المحيط وعن المجتمع، فكلما ارتفع الإنسان وأصبح أكثر حكمة ووعياً التصق بالناس وليس العكس.

• لوحتك ستكون موجودة في الصفحة، والمشروع تحت عنوان لوحة وجملة، ما مجموع الجمال التي يقولها بديع ججاج؟

أطلقت «ألف نون» لتقويم لعام ٢٠١٧، يضم مجموعة أعمال لتشكيليين سوريين ويأتي هذا التقويم كمساهمة متواضعة من «ألف نون» في دعم المجتمع المدني المحلي، حيث سيوزع مجاناً لبعض الجمعيات الخيرية في المحافظات ويعود ريع البيع لهم.

وعملياً لوحتي الأولى في الأجدنة كانت تحت عنوان «طيور النصر»، وهي عبارة عن مدينة دمرة تخرج منها الطيور البيضاء حتى تغلظها ويتحقق النصر، وكانت جملتي بها هي:

غنّ معي عن السلام.. عن الحب.. حتى لا أفقد الأمل أبداً، وهي رسالة للناس وللدولة لأنه في مناخ البهجة يصيب النمو ممعناً، لا يمكن أن الجسور لا يمكن أن تمتد إلا بوغي راق، وأن الوعي لا يسكن إنما يتراكم عبر محطات مختلفة لتؤسس منجزاً له قيمة على مستوى الوطن العربي والعالمي.

• كيف ترى المشهد السوري بعين لوحتك القادم؟ عندما تفكر في رسم لوحة تفكر في الناس كان لا بد من أن تكون مفهومة ولكي يكون الفن قيماً يجب أن يكون مفهوماً، كما أنني لا أؤمن بأن يكون الفن منفصلاً ومنعزلاً، فنحن نؤسس عبر منظومة من لوحات، كمظلة تنتج داخلها منظومات لها علاقة بألف نون ووراة وجملة أو ألوان وأفكار قادمة، مع وزارة التربية مشروعاً كبيراً البقاء دائماً للكلمة، واليوم نحن نحضر لمشروع كبير اسمه «فناء الدرويش» في البعد الثالث تكلمنا عن شهبندر واحد وعن دوران اللوحة والكلمة في أفلام واليوم سنتكلم عن الفناء في المطلق والفناء في الهوة، الفناء هو الخلود وليس الفناء الزوال.



الحرب تدفعنا كي نوظف الحالة الفكرية حتى ننتج منها مفردات سورية جديدة

